● **حديث:** أن النبى ﷺ سحره بيد بن الأعصم.

يعترض أعداء السنة على هذا الحديث، ويحاولون الاعتراض به على السنة، يصوِّرون أنه لا يمكن القول بأن النبى ﷺ قد سحر، فإن هذا معناه التأثير على قواه العقلية ﷺ، مما يطعن فى صحة الوحى.

ويقولون إن هذا يحط من قدر النبوة.

وراحوا يقيمون تعارضًا بين هذا الحديث وبين آيات من القرآن الكريم.

وأجيب بإيجاز:

* السحر الذى وقع له ﷺ لا علاقة له بقواه العقلية، وإنما كان على شىء من نشاطه البدنى، فنص الحديث أنه كان يخيل إليه أنه يستطيع أن يجامع أهله، فإذا أراد لم يستطع، وهذا أمر لا أثر له على العقل، ولا على الوحى.

* وما دام السحر على قواه البدنية فإنه لا يحط من قدر النبوة.

* وشاء الله أن يقع هذا السحر كى تستفيد الأمة، ونتعلم ماذا نفعل إن حدث شىء من هذا لنا.

وأجيب تفصيلاً:

أخرج البخارى بإسناده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن. فقال: يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان[1]، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلىّ، فقال لذى عند رأسى للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مَطْبُوب[2]. قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن أعصم، رجل من بنى زُرَيق حليفٌ لليهود، كان منافقًا[3]. قال: وفيم؟ قال: فى مشط[4] ومشاطة[5]. قال: وأين؟

---

(١) أى ملكان فى صورة رجلين دل على ذلك ما جاء فى رواية «ملكان» وفى رواية «جبريل وميكائيل» وكان ذلك منامًا.

(٢) أى مسحور.

(٣) لبيد بن الأعصم رجل من المنافقين، هو أصلاً من الخزرج، وأسلم نفاقًا، وكان حليفًا لليهود. راجع فتح البارى شرح حديث ٥٧٦٣ جـ١٠ ص٢٢٦.

(٤) ما يسرّح به الشعر.

(٥) ما يسقط من الشعر إذا سُرِّح بالمشط.

قال: فى جف طلعة ذكر[١]، تحت رعوفة[٢]، فى بئر ذَرْوان[٣]، قالت: فأتى النبى ﷺ البئر حتى استخرجه. فقال: هذه البئر التى أُريتها[٤]، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج. قالت فقلت: أفلا ـ أى تَنَشَّرْت[٥] ـ؟ فقال: أما والله فقد شفانى، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا»[٦].

وفى رواية أخرى عن عائشة أيضًا قالت: مكث النبى ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتى أهله ولا يأتى... الحديث[٧].

وواضح من قول أم المؤمنين عائشة فى الرواية الأولى: «حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن» وقولها فى الرواية الثانية «مكث كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتى أهله ولا يأتى».

واضح من الروايتين أن السحر كان يؤثر فى بعض قواه البدنية، وهى قوة الجماع، وهذا مثله مثل الأمراض الجسدية تجوز على الأنبياء. ولقد جاء فى رواية «إن الله أنبأنى بمرضى» أى أخبرنى بحقيقة ما أنا فيه.

وبوضوح هذا الأمر، وهو أن السحر كان يؤثر على بعض قواه البدنية ﷺ، تزول جميعَ شبههم.

والأمر فى غاية الوضوح، فمصرح فى الروايات أن السحر كان يؤثر على بعض قواه البدنية ﷺ، فلم يبق مجال للاعتراض، ذلك أن الأنبياء ليسوا معصومين من

---

(١) فى رواية «فى جف طلع نخلة ذكر» والجف: الوعاء الذى يكون فيه ثمرة النخلة، سواء النخلة الذكر أو الأنثى. وقد بيّن هنا أن هذا الجف كان من نخلة ذكر، وهو الذى يكون فيه اللقاح.

(٢) صخرة تكون فى أسفل البئر، يجلس عليها الذى ينظف البئر، وتطلق أيضًا على الصخرة التى تكون على رأس البئر يقف عليها من يخرج الماء من البئر، والمراد هنا الأول.

(٣) بئر فى المدينة لبنى زريق.

(٤) أراه الله إياها فى المنام.

(٥) أى هلا أخرجت مواد السحر من الجف؟

(٦) أخرجه البخارى فى الطب باب هل يستخرج السحر ١٠/ ٢٣٢ رقم ٥٧٦٥.

(٧) أخرجه البخارى فى الأدب باب قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان... ١٠/ ٤٧٩ رقم ٦٠٦٣.

الأمراض، فلقد مرضوا، بل وكان مرضهم شديدًا، أما القوى العقلية فهذه يحفظها الله عليهم، وكذلك سلامة نصوص الوحى، تكفل الله بحفظها عليهم. وعليه فلا وجه للاعتراض على الحديث، ولا يصح أن تثار أى شبهة بسببه.

إنه أمر لا يؤثر على سلامة أمور الدين، ولا يحط من قدر النبوة، وإنما هو أمر من الأمور التى قد تحدث للأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإمعانًا فى الاستشكال وإثارة الشبه، راحوا يَبْنُون على تفسيرهم الخاطئ للحديث تعارضات بين هذا الحديث وبين آيات من القرآن الكريم!!

لقد فسروا الحديث خطأ، وأنه ﷺ سُحر، حتى أثر السحر على عقله وهذا خطأ تمامًا، فنص الحديث واضح كل الوضوح أن السحر لم يؤثر على عقله مطلقًا، وإنما أثر على بعض قواه الجسدية.

ورتب أعداء السنة على هذا التفسير الخاطئ للحديث، أنه يتعارض مع آيات قرآنية: فهو يتعارض مع قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

وأقول لهم: قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى يحفظك فلا يستطيع أحد قتلك، والآية ليست على عمومها، فلو كانت على عمومها ما استطاع أحد أن يخطئ فى حقه ﷺ، وها هم يخطئون فى حقه ﷺ كثيرًا، وهذا يدل على أن الآية فى عصمته من القتل، ولا تعارض بينها وبين شخص يسحره.

وقالوا: يتعارض مع الآيات الواردة فى شأن إبليس، وأنه لا يتسلط على عباد الله الصالحين، كما فى قوله تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[2].

وأجيب: الآية الكريمة تفيد أن إبليس لا سلطان له على عباد الله الصالحين، فهو لا يستطيع أن يضلهم، ولا يستطيع أن يوقعهم فى الكفر، فما علاقتها بالحديث!؟

الحديث فيه إن رجلاً اسمه لبيد بن الأعصم صنع سحرًا، أثّر على رسول الله

(١) سورة المائدة الآية ٦٧

(٢) سورة الحجر الآية ٤٢

ﷺ فى نوع من أنشطة جسده، فما علاقة ذلك بالآية الكريمة؟ بدهى أنه لا تعارض مطلقًا.

* ويقولون: إننا إذا قلنا إنه ﷺ سُحر فقد اتفقنا مع الكفار، الذين حكى الله عنهم قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ (١).

وأقول لهم: أنكر المشركون ما جاء به ﷺ عن الله تعالى، وراحوا يبحثون عن سبب يُشوِّهون به الحق الذى جاء به، فقالوا: إنه مجنون. وقالوا: إنه مسحور، بمعنى أنه يقول كلامًا لا يعقل. يقولون ذلك تبريرًا لإنكارهم قوله. والسحر الذى رموه به إنما هو السحر الذى يخبل صاحبه، ويقضى على عقله. أما السحر الذى فى الحديث الذى معنا فليس من هذا النوع مطلقًا، وإنما أثر على شىء من قواه الجسدية لفترة وجيزة، وبالتالى فهو لا يحقق مقولة الكفار مطلقًا.

وهكذا يتضح أن الحديث لا يتعارض مع أى آية من القرآن الكريم.

وآيات القرآن تؤيده:

بل إن المتأمل فى آيات القرآن الكريم يجد ما يؤيد هذا الحديث، يؤيده قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٢).

ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).

إن هذا الحديث لا يعترض به إلا من ينظر نظرة تعصب، وحرص على التشويه.

أما من ينظر نظرة إنصاف فإنه يرى الحديث يمثل صورة طيبة، فها هو قد سُحر لكنه لم يُتْرَك، وإنما سأل الله ودعا، واستجاب له ربه، وجاءه جبريل وغيره من الملائكة، وأخبره الله بحقيقة حاله، ورقاه جبريل، ورقى ﷺ نفسه، وبرأ

(١) سورة الفرقان الآية ٨

(٢) سورة الفلق.

(٣) سورة القلم ٥١، ٥٢

بفضل الله تعالى سريعًا.

إن هذا يدل على كريم منزلته ﷺ عند الله تعالى.

إن هذا يدل على عظيم عناية الله تعالى برسوله ﷺ.

فلم الاعتراض؟ ولم الاجتراء؟

إن هذا الحديث لا يُمثّل ثغرة في السنة، وإنما يمثّل نقطة مشرقة، إنه سُحر، لكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان في أعلى درجات الاستقامة والهداية، وماذا بعد أن دعا، ودعا، ،دعا؟

إن هذا يدل على أن السحر لم يؤثر في قواه ﷺ العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثراً في أداء الجسم، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحي.

ومع أنه أمر جسدي فإنه الرعاية الإلهية قد شملته، وتولاه الله بالحفظ، وسلمه سبحانه وشفاه، ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين.

سؤال وجواب:

وقد يقول قائل: إذا كانت العناية الإلهية أحاطت رسول الله ﷺ، فلم أثّر فيه السحر؟

والجواب: إن أعداءه ﷺ كادوا له بكل ما استطاعوا:

* أثاروا الشُبَه، يشوّهون بها الإسلام!!
* رموه بكثير من الكلمات الجارحة، يريدون التقليل من شأنه.
* وصفوا ما جاء به من الهدى بصفات سيئة، حرصًا على تضليل الناس.
* جاءوا بالقصص من الأمم الأخرى يصرفون بها الناس عن القرآن والإسلام.
* جاءوا بالفتيات المغنيات تغنى، يصرفون بهن الناس عن القرآن والإسلام.
* جاءوا بمشاهير الحساد، كي يحسدوه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

(١) سورة القلم ٥١، ٥٢

* جاءوا بمشاهير السحرة، وصنعوا له أبشع الأسحار.

* خططوا لقتله مع تفريق دمه فى كل القبائل.

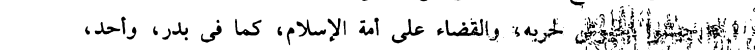

وكل هذه الوسائل لم تؤثر فيه ﷺ، وإنما نصره الله وأيده، وشاء الله أن يؤثر السحر فيه مرة، ليعلمنا ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ، ماذا نفعل إذا وقع لنا شىء من السحر.

لقد استفدنا من هذا الحديث ـ والذى يتحدث عن حدوث سحر له ﷺ ـ أننا نعالج أنفسنا من السحر بثلاثة أمور:

الأول: الصبر على الحال، فإنه ﷺ حينما أحس بما عليه حاله، فوّض وسلم لأمر ربه، يرجو بذلك الأجر والمثوبة.

إنه يؤمن أن كل شىء بإذن الله، وأن كل شىء بقدر الله، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] وقال سبحانه فى شأن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2].

إنه ﷺ يؤمن أن الصبر على البلاء يؤجر عليه المسلم، ومن هنا صبر واحتسب.

إنه لم يخف السحر، ولم يضطرب، فالأمور بيد الله سبحانه، وهو الواثق بالله المتوكل عليه، ومن هنا صبر يحتسب أجر ذلك عند الله تعالى.

الثانى: كثرة الدعاء، ففى الحديث الذى معنا صبر ﷺ فترة، ثم دعا، ودعا، ودعا. وفى هذا تعليم للمسلم أنه فى مثل هذه الحالات يكثر من الدعاء، فإنه ببركة الدعاء يفرج الله عنه ما هو فيه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة الآية ٥١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢.

(٣) سورة غافر ٦٠

وقال ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»[١].

الثالث: الرقية، وذلك بقراءة سورتى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ففى بعض روايات حديث السحر هذا أنه ﷺ رُقى بهاتين السورتين، وكلما رُقى بآية انحلت عقدة[٢]، حتى انحلت العقد كلها، وشفى بفضل الله تمامًا.

وفى سورتى الفلق والناس واللتين تسميان بالمعوذتين، فيهما يقول ﷺ: «ما تعوذ متعوذ بمثلهما»[٣].

وهكذا يتضح أن الله تبارك وتعالى شاء له ذلك ليعلم الأمة ماذا تفعل فى مثل هذه الحالة.

والعلماء على هديه يسيرون، يستشفون بهذه الأمور، أما الجهلة فإنهم يذهبون إلى أماكن الدجل والشعوذة، ولولا أن الله شاء به ذلك لذهب الجميع إلى الشعوذة والدجل.

نعم، تأثير السحر فيه درجة أقل من درجته ﷺ، لكن قد يقع له ما هو أقل من درجته للتشريع، ليس هذا فى السحر فقط، وإنما وقع فى أمور أخرى وقع فى الصلاة، فسها فى الصلاة، والسهو أقل من درجته، لكنه سها ليعلمنا ماذا نفعل إذا سهونا، وناموا عن وقت الصلاة وهو معهم، وليس هذا من شأنه، ولا هو باللائق بدرجته، ولكن شاءه الله ليشرع لنا ماذا نفعل إذا نمنا عن الصلاة، أو خرج وقتها.

إنها أحوال أقل من درجته، شاءها الله تبارك وتعالى ليُعَلِّم الأمة دينه سبحانه، من واقع أحوال رسوله ﷺ، وهو المصطفى لتبليغ الرسالة، وتوضيح معالم دين الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه الترمذى ـ وحسّنه ـ والحاكم عن سلمان.

(٢) راجع الدر المنثور صدر تفسير سورة الفلق ٦/٤١٧.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب، وابن الضريس، وابن الأنبارى وابن مردويه، كذا فى الدر ٦/٤١٦.

تاريخ هذه الشبهة:

على أنى أقول لأعداء السنة: إن هذه الشبهة ليست جديدة، وإنما قالها أعداء الإسلام قديمًا، ورد عليها العلماء منذ زمن بعيد.

إن استعراضهم هذه الشبهة يوهم المعاصرين وكأن منكرى السنة فى هذه الأيام هم الذين اكتشفوا هذه القضية فى السنة النبوية. إنهم يصوِّرون كلامهم فى هذا الموضوع وكأنهم أصحاب رأى وفكر، وخبرة ودراية، وليس الأمر هكذا.

وأقدم من وقفت عليه فى الرد على هذا الخطأ، هو الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابى الذى عاش من ٣١٩هـ إلى ٣٨٨هـ، وذلك فى كتابه «أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى» فلقد رد هذه الشبهة تمامًا، ودفع هذا الخطأ عن السنة دفعًا رتيبًا.

يقول رحمه الله: فأما ما زعموه من دخول الضرر على النبوة من أجل إثبات السحر، وتأثيره فى أهلها، ووقوع الوهن فى أمرها، فليس الأمر فى ذلك على ما قدروه، والأنبياء صلوات الله عليهم يجوز عليهم من الأعراض والعلل ما يجوز على غيرهم، إلا أنهما خصهم الله به من العصمة فى أمر الدين، الذى أرصدهم له، وبعثهم به، وليس تأثير السحر فى أبدانهم بأكثر من القتل، وتأثير السم، والأمراض، وعوارض الأسقام فيهم. وقد قتل زكريا وابنه يحيى عليهما السلام.

ثم يقول رحمه الله: فأما ما يتعلق من أمره ﷺ بالنبوة، فقد عصمه الله فى ذلك، وحرس وحيه أن يلحقه الفساد والتبديل، وإنما كان يخيل إليه من أنه يفعل الشىء ولا يفعله فى أمر النساء خصوصًا، وفى إتيان أهله قَصْرَة، إذا كان قد أُخذ عنهن بالسحر، دون ما سواه من أمر الدين والنبوة، وهذا من جملة ما تضمنه قوله عز وجل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾. فلا ضرر إذن مما لحقه من السحر على نبوته، ولا نقص فيما أصابه منه على دينه وشريعته، والحمد لله على ذلك[1].

لقد أجاب الخطابى على هذه الشبهة، أو قل على هذا الافتراء، وهذه المغالطة

(١) أعلام الحديث ٢/١٥٠١ ـ ١٥٠٤.

قبل أكثر من ألف عام.

وأيضًا أجاب على هذا الامام أبو عبد الله محمد بن على بن عمر المازرى المتوفى فى ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وذلك فى شرحه لصحيح مسلم، والمسمى «المعلم».

وهكذا يتضح أن هذه الشبهة لم يقلها المعاصرون من أعداء السنة، وإنما هى قديمة، وقد أجاب العلماء قديمًا عليها. وهى لا تمثل نقطة ضعف، وإنما تمثل نقطة قوة للسنة النبوية. لما فيها من توجهه ﷺ، واستجابة الله تبارك وتعالى دعاءه ﷺ، ونزول الملائكة، ورقيته ﷺ، وأيضًا لما فيها من تشريع وتعليم للأمة سبيل الخلاص من هذه الأعمال.

والحمد لله رب العالمين.

* * *